

البداية والنهاية

ما ذكرناه .

ثم دخلت سنة سبع وثمانين ومائة .

فيها كان مهلك البرامكة علية يدى الرشيد قتل جعفر بن يحيى بن خالد الرمكى ودمر ديارهم واندرست آثارهم وذهب صغارهم وكبارهم وقد اختلف في سبب ذلك علماً قوال ذكره ابن جرير وغيره قيل إن الرشيد كان قد سلم يحيى بن عبد الله بن حسن إلى جعفر البرمكى ليسجنه عنده فما زال يحيى يترفق له حتى أطلقه فم الفضل بن الربيع ذلك إلى الرشيد فقال له الرشيد ويلك لا تدخل بينى وبين جعفر فلعله أطلقه عن أمرى وأنا لا أشعر ثم سأل الرشيد جعفرا عن ذلك فصدقه فتغيظ عليه وحلف ليقتلنه وكره البرامكة ثم قتلهم وقلاهم بعد ما كانوا أحظى الناس عنده وأحبهم إليه وكانت أم جعفر والفضل أم الرشيد من الرضاة وقد جعلهم الرشيد من الرفعة في الدنيا وكثرة المال بسبب ذلك شيئا كثيرا لم يحصل لمن قبلهم من الوزراء ولا لمن بعدهم من الأكابر والوؤساء بحيث إن جعفرا بنى دارا غرم عليها عشرين ألف ألف درهم وكان ذلك من جملة ما نقمه عليه الرشيد ويقال إنما قتلهم الرشيد لأنه كان لا يمر ببلد ولا إقليم ولا قرية ولا مزرعة ولا بستان إلا قيل هذا لجعفر ويقال إن البرامكة كانوا يريدون إبطال خلافة الرشيد وإظهار الزندقة وقيل إنما قتلهم بسبب العباسة ومن العلماء من أنكر ذلك وإن كان ابن جرير قد ذكره .

وذكر ابن الجوزي أن الرشيد سئل عن سبب قتله البرامكة فقال لو أعلم أن قميصي يعلم ذلك لأحرقته وقد كان جعفر يدخل على الرشيد بغير إذن حتى كان يدخل عليه وهو في الفراش مع حظاياه وهذه وجاهة ومنزلة عليه وكان عنده من أحظى العشاء على الشراب المسكر فإن الرشيد كان يستعمل في أواخر أيام خلافته المسكر وكان أحب أهله إليه العباسة بنت المهدي وكان يحضرها معه وجعفر البرمكى حاضرا أيضا معه فزوجه بها ليحل النظر إليها واشتراط عليه أن لا يطأها وكان الرشيد ربما قام وتركهما وهما ثملان من الشراب فربما واقعها جعفر فحبلت منه فولدت ولدا وبعثته مع بعض جواريتها إلى مكة وكان يربى بها .

وذكر ابن خلكان أن الرشيد لم زوج أخته العباسة من جعفر أحبها حبا شديدا فراودته عن نفسه فامتنع أشد الامتناع خوفا من الرشيد فاحتالت عليه وكانت أمه تهدي له في كله ليلة جمعة جارية حسناء بكرى فقالت لأمه أدخليني عليه بصفة جارية فهابت ذلك فتهددتها حتى فعلت ذلك فلما دخلت عليه لم يتحقق وجهها فواقعها فقالت له كيف رأيت خديعة بنات الملوك وحملت من تلك الليلة فدخل على أمه فقال بعثيني وإني برخيص ثم إن والده يحيى بن خالد جعل يضيق

على عيال الرشيد في النفقة حتى شكت زبيدة ذلك إلى الرشيد مرات ثم أفشت له سر العباسة
فاستشاط غيظا ولما أخبرته أن الوالد قد أرسلت به إلى مكة حج عام ذلك حتى تحقق الأمر
ويقال